

معطيات في مفاوضات الصحراء

محمد الأشهب الحياة - 27/06/08

بالون اختبار أم حقيقة، ليس مهما، الأهم ان قرار جبهة "بوليساريو" تعليق المفاوضات مع المغرب يبقى وارداً، سواء أعلنت ذلك صراحة، كما جاء على لسان منسقتها لدى الامم المتحدة محمد خداد أو ذهبت الى جولة مانهاست المرتقبة بخلفية عدم توقع أي نتيجة. فالأصل في اي مفاوضات ان تعكس إرادة سياسية في البحث عن حل لم تستطعه الحروب والصراعات الدبلوماسية، وفي حال غياب تلك الإرادة تصبح المفاوضات مجرد جولات سياحية برداء سياسي.

ثلاثة معطيات على الأقل قد تكون وراء إرجاء الدخول في مفاوضات جوهريّة بين الأطراف المعنية بنزاع الصحراء. أقربها ان ثمة من يراهن على حدوث نوع من التغيير في الموقف الأميركي بعد انتخابات تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل. لذلك فقد حرص الرئيس الأميركي جورج بوش قبل انتهاء ولايته على تأكيد ان موقف إدارته لجهة اعتبار خيار استقلال اقليم الصحراء غير واقعي "بيلور الموقف القومي للولايات المتحدة". وزاد على ذلك ان السفير الأميركي في الجزائر، وليس المغرب، روبرت فورد أكد ان تقرير المصير في نزاع الصحراء "لا يعني الاستقلال"، مشدداً على ان اقتراح الحكم الذاتي أساس صالح لمفاوضات مانهاست، ما يعني ان مقاربة الإدارة الأميركية تلتقي وخلصات الموفد الدولي بيتر فان فالسوم المرشح من دون غيره لرعاية جولات المفاوضات المقبلة.

على الصعيد الاقليمي يبرز الاستحقاق الكبير في رهان الجزائر على تعديل الدستور ودعم ولاية ثالثة للرئيس عبدالعزيز بوتفليقة كأسبقية لها طابع داخلي صرف. لكن تداعياتها الاقليمية إزاء مستقبل العلاقات مع المغرب والموقف من مفاوضات الصحراء تفرض نفسها، وفي أقل تقدير لا يمكن إحراز أي تقدم على هذه الواجهات من دون حدوث انفراج في علاقات البلدين الجارين. ثالث المعطيات يطاول آفاق المشروع الأوروبي حول الاتحاد من أجل المتوسط، كونه سيعرض

للمناقش آليات تفعيل هذه المنظومة الجديدة بتزامن مع انتقال رئاسة الاتحاد الأوروبي الى باريس. علما ان النظرة الفرنسية، ومن خلالها الهواجس الأوروبية تكاد تختزل المخاطر التي تهدد الأمن المتوسطي والأوروبي في تنامي الظاهرة الإرهابية وتزايد موجات الهجرة غير الشرعية. ولم يكن صدفة صدور كتاب أبيض بمرجعية استراتيجية رأت من خلالها وزارة الدفاع الفرنسية أن الحرب بين المغرب والجزائر غير واردة الآن، ولفترة لا تقل عن عشرين سنة، وبالقدر نفسه استبعد التقرير العودة إلى حمل السلاح في نزاع الصحراء، ما يلتقي والمنهجية الأميركية في دعم الحل السياسي بديلاً من أي تصعيد.

ما يعوق مفاوضات مانهاست في جولاتها السابقة واللاحقة ليس تباعد المواقف بين المغرب و "بوليساريو" فقط، فهذا واقع قائم خفف الذهاب إلى المفاوضات من حدته، طالما أنها تعني التنازل عن السقف الذي يبقي على ذلك التباعد. ولكنها أجندة الانفراجات المطلوبة تكاد تتحكم في مسارات المفاوضات، لذلك كان طبيعياً أن يتم التركيز على أفضل الوسائل والمنهجيات التي تحقق هذا الهدف. فالرئيس بوش لم يكن في حاجة إلى معاودة تأكيد موقف بلاده لولا أنه أراد أن يشعر الأطراف المعنية بالمفاوضات أن المصالح الاستراتيجية للإدارة الأميركية أكبر من حسابات هذه الأطراف التي ليس في إمكانها وحدها أن ترسم ترتيبات التوازن في منطقة شمال أفريقيا.

وعلى نهجه يرغب الأوروبيون في مشروع الاتحاد من أجل المتوسط القول صراحة إنهم سئموا من خلافات هامشية لا تساعد في حشد الجهود ضد ما يعتبرونه أعداء لدودين، الإرهاب والهجرة غير الشرعية والانفلات الأمني.

ومع أن التغيير الذي حدث في الجزائر يهم ترتيبات داخلية، فإن إبعاده يمكن أن تنصرف إلى تأثيره اقليمياً، فقد عرف عن رئيس الوزراء الجزائري أحمد أويحيى أنه أكثر تشدداً في مواجهة المغرب. غير أن السلام يصنع في كثير من الأحيان مع أكثر الخصوم تطرفاً وعناداً. ومن يدري فقد تكون الجزائر دخلت على خط توجيه الرسائل، وما من شك في أنها ستتلقى الأجوبة على قدر العزائم